[151] يولونهم أمور الناس في عنفوان الدولة الاموية. وهي إن دلت على شئ فإنما تدل على مدى الانحطاط الفكري الذي كان يهيمن على طبقة الرؤساء وأصحاب النفوذ آنئذ، فكيف يمكننا أن نتصور حالة سائر الناس ممن كانوا لا يملكون إمكانيات حتى الحصول على لقمة العيش، والاحتفاظ برمق الحياة. قال الزبير بن بكار: " شكا عبد ا بن عامر إلى زياد بن أبيه - وهو كاتبه على العراق الحصر على المنبر، فقال: " اما انك لو سمعت كلام غيرك في ذلك الموقف استكثرت ما يكون منك ". قال: فكيف اسمع ذاك. ؟ ! قال: رح يوم الجمعة وكن من المقصورة بالقرب حتى اسمعك خطب الناس. فلما كان يوم الجمعة قال زياد: " ان الامير سهر البارحة فليس يمكنه الخروج إلى الصلاة. والتفت إلى رجل من سادة بني تميم، فقال له: قم فاخطب، وصل بالناس. فلما أوفى على ذروة المنبر قال: الحمد الذي خلق السماوات والارض في ستة اشهر. قالوا: قبحك ا. - جل ثناؤه - يقول: في ستة أيام. وتقول انت: في ستة اشهر. فنزل والتفت إلى شريف لربيعة فقال له: قم فاخطب. فلما ارتقى على المنبر ضرب بطرفه، فوقع على جار له كان يخاصمه في حد بينهما. فقال: الحمد . وارتج عليه. فقال لجاره: اما بعد فان نزلت اليك يا اصلع لافعلن بك، ولافعلن.